المقدمة

الحمد لله الواحد القهّار، العزيز الغفّار، مقدِّر الأَقدار، الحكيم السَّتّار، خالق اللَّيل والنَّهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، الذي بعث من خلقِهِ من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار، ووفَّق من اجتباه من عبيده فجعله من المقرّبين الأبرار، وبصَّر من أحبَّه فزهَّدهم في هذه الدّار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهّب لدار القرار، واجتناب ما يسخطه، والحذر من عذاب النَّار، وأخذوا أنفسهم بالجدِّ في طاعته وملازمة ذكره بالعشيِّ والإبكار. وعند تغاير الأحوال وجميع آناء اللّيل والنَّهار، فاستنارت قلوبهم بلوامع الأنوار.

أَحمده أبلغ الحمد على جميع بلائه ونعمه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه.

وأَشهد أَن لا إله إلاَّ الله العظيم، الواحد الأحد العزيز الحكيم، الفرد الصّمد الرَّحمٰن الرَّحيم، وأَشهد أَنَّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، وصفِيُّه وحبيبه وخليله، أَفضل المخلوقين، وأَكرم السَّابقين واللَّاحقين، حامل الرِّسالة، ومؤدِّي الأَمانة، صلوات الله وسلامه عليه

وعلى سائر إخوانه النَّبيِّين، وارضَ اللَّهمّ عن أصحابه، وأنصاره، وأهل بيته الطيِّبين الطّاهرين، وآل كلٍّ أجمعين.

وبعد!...

كانت حريَّة الفكر الإسلامي سبباً في تعدّد الفِرق وظهورها، وهم الّذين يفضّلون تطبيق الأحكام العقلية على النّصوص الدينيّة. ولقي هؤلاء الأشخاص في العصر العبّاسي مرتعاً خصباً لآرائهم وأفكارهم ودعواتهم، فاستفاض فيهم هذا المذهب. والذي شجَّعهم وحثَّهم على الجهر بآرائهم انضواء المأمون إليهم، وَصَدْعَه بما لم يصدعوا به فقال بخلق القرآن، وضرَّم النّار في أفكارهم، نار الجدل بين السُّنَّة والاعتزال، وزُيِّن له أن يتذرَّع بمنطق اليونانيين لقهر خصومه، فدعا بترجمة الفلسفة، وأمضى الركائب في طلبها، من هنا حدا النّاس على النظر فيها، والجدل بها، فنشأ من ذلك علم الكلام. وكان مبدأ لظهور الفلسفة العربية.

والفلسفة: هي لفظ معرّب بمعنى الحكمة. وهي تضم العلوم الأربعة: الهندسة والحساب، والمنطق، والإلهيات، والطبيعيات. وقد استقلت اليوم بعض العلوم عن الفلسفة حتى أصبحت اليوم قاصرة على الإلهيات، أو الكلام عما وراء الطبيعة[1].

والفلسفة العربية لونٌ من ألوان الفكر الإسلامي، وحادث من تاريخ التمدن العربي، ففي أول الأمر كان عدد الفلاسفة قليلاً.

---

(١) معجم لغة الفقهاء: صفحة ٣٥٠.

وأثرهم في الشرق ضئيلاً، ولكنّهم في الحقيقة كانوا حلقة اتصال بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة، ومناراً حقيقياً للقارة الأوروبية العامهة في غياهب الجهالة، والتائهة في مجاهل القرون الوسطى، هداها إلى هذه الحضارة العظمى وتلك الحياة الراقية[1].

ولقد اتخذ بعض العلماء من الفلسفة سلاحاً يقارعون به أهل السُّنَّة، وعهد إلى بعض أولي العزم والبصائر بالطّعن عليهم وعليها، وتحذير النَّاس سرّاً منهم ومنها، حتى أصبحت الفلسفة في نظر الكثير مرادفة للزَّندقة، والفيلسوف أيضاً عُرضةً للمقت والسّخرية، كان ذلك عهد المأمون والمعتصم والواثق، أما في عهد المتوكل فصارت الدعوة ضدّهم جهراً وعلانية، الأمر الذي حدا بالفلاسفة إلى التَّستُّر، وصاروا يعقدون مجامعهم خفية. فكان من ذلك جماعة (إخوان الصّفا وخلاّن الوفا)[2]. الذين بعثوا في الفلسفة روح الحياة، ومهَّدوا لها طريق الشيوع. ووافق ذلك تغلُّب البُوَيهيِّين[3] على بغداد سنة ٣٤٣هـ...

---

(١) تاريخ الأدب العربي: صفحة ٣٥٩.

(٢) إخوان الصَّفا: جماعة ذات طابع سياسي ديني، إسماعيلية النزعة، اتخذ أعضاؤها البصرة مركزاً لنشاطهم، جمعوا بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني وبالأخص الفيثاغوري، إذ جعلوا للحساب دوراً كبيراً. دوّنوا تعاليمهم في ٥٢ رسالة كتبت بأسلوب مسهب، ملخص عقيدتهم:
أن العالم صادر عن الله، والله علّة كل فيض، وقد فاض عنه.
بالتسلسل: العقل، ثم النَّفس، ثم المادة الأولى، ثم عالم الطبيعة، ثم الأجسام، ثم الأفلاك، ثم العناصر. أما المعلومات عن تأثيرهم السياسي فلا تزال ناقصة ومبهمة.

(٣) البُوَيهيّون: أسرة فارسية من أصل ديلمي، حكمت من سنة ٩٣٢ حتى سنة ١٠٥٥. أسّسها أبو شجاع بويه. استولى أبناؤه علي (عماد الدولة) والحسن (ركن الدولة) =

فأخذت الفلسفة في الانتشار، إلى أن أصابها ما أصاب سائر العلوم من الضّعف والفتور.

اشتهر العديد من الفلاسفة العرب، كان أولهم يعقوب بن إسحاق الكندي، وكان معاصراً للمأمون بارعاً في الطِّبِّ والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة والنُّجوم، وألَّف في تلك العلوم واحداً وثلاثين ومائتي كتاب حذا فيها حذو أرسطو. كذلك برع أَبو نصر الفارابي الملقّب بالمعلّم الثاني صاحب كتاب السياسة المدنيَّة. ومخترع القانون في الموسيقى.

ثم اشتهر الشيخ الرئيس أَبو علي الحسين بن سينا والذي يُسمِّيه الفرنج (Avicenne)، كما اشتهر كل من أَبي حامد الغزالي، كذلك نبغ في الأندلس عدد من الفلاسفة أشهرهم: محمّد بن يحيى بن باجَّه والذي يُعرف بابن الصَّائغ، وأَبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي، ونبغ الوليد محمّد بن أَحمد (ابن رشد)، ويسمِّيه الإفرنج (Averroés)، ونبغ محمّد بن عبد الملك بن محمّد بن محمّد (ابن طفيل) القيسي الأندلسي أَبو بكر، صاحب رسالة حي بن يقظان.

= وأَحمد (معزّ الدولة) على أصفهان وشيراز وكرمان، ومدينة بغداد سنة ٣٣٣هـ الموافق سنة ٩٤٥م. فغدا الخليفة ألعوبة في أيدي البويهيين، إلى أن غلبهم طغرل بك السلطان السلجوقي سنة ٤٤٦هـ الموافق سنة ١٠٥٥م.

من هو حجّة الإسلام الإمام الغزالي؟

هو محمّد بن محمّد بن محمّد بن أَحمد الإمام الجليل حجّة الإِسلام، وبركة الأنام، ومحجّة الدِّين التي يتوصَّل بها إِلى دار السَّلام، جامع أشتات العلوم، والمبرّز في المنقول منها والمفهوم، جرت الأئمة قبله لشأوٍ ما قنع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلب بل لم يبرح في دأب لا يقضي له بنهاية، حتى أخمل من الأقران كل خصم بلغ مبلغ السّها، وأخمد من نيران البدع كل ما تستطيع أيدي المجالدين مسَّها. كان رضي الله عنه ضرغاماً إِلاَّ أن الأسود تتضاءل لديه وتتوارى، وبدراً تماماً إِلاَّ أن هداه يشرق نهاراً، وبشراً من الخلق، إِلاَّ أَنّه الطود العظيم، وبعض الناس مثل ما بعض الجماد الدّرّ النظيم:

فـإن تـفـق الأنـام وأنـت مـنـهـم

فـإن الـمـسـك بـعـض دم الـغـزال

جاء والنّاس في ردِّ فرية المتفلسفة الملحدة أحوج من الظلماء لمصابيح السّماء، وأفقر من الجدباء إِلى قطرات الماء، فلم يزل

يناضل عن الدِّين الحنيف بجلاد مقاله، ويحمي حوزة الدِّين ولا يلطّخ بدم المعتدين حدَّ نصاله، حتى أصبح الدِّين وثيق العرى، وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلاَّ حديثاً مفترى، هذا مع ورع طوى عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها سوى الطاعة سميره، ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الله يعامله في سرِّه وجهره.

مولده ونشأته:

ولد بطوس[1] سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة وصّى به وبأخيه أَحمد إِلى صديق له متصوّف من أهل الخير وقال له:

إن لي تأسفاً عظيماً على تعلّم الخط، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين، فعلمهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ما خلفته لهما.

فلما مات أقبل «الصوفي» على تعليمهما إِلى أن فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعزّز على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما:

اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجل من أهل الفقر والتجريد لا مال لي، فأواسيكما به، وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إِلى مدرسة، فإنّكما من طلبة العلم، فيحصل لكما قوت يعينكما

(١) مدينة في خراسان، سمّيت أولاً طابران، فتحها المسلمون سنة ٦٤٩، وخرّبها المغول سنة ١٣٨٩م. فيها قبر هارون الرشيد.

على وقتكما، ففعلا ذلك[1]. وكان هو السبب في سعادتهما وعلوّ درجتهما.

وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: «طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلاَّ لله».

صفة والده:

يحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً، لا يأكل إلاَّ من كسب يده في عمل غزل الصوف، ويطوف على المتفقهة ويجالسهم، ويتوفّر على خدمتهم، ويجد في الإحسان إليهم، والتفقه بما يمكنه عليهم، وأنّه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع، ويسأل الله أن يرزقه ابناً ويجعله فقيهاً.

ويحضر مجالس الوعظ، فإذا طاب وقته بكى، وسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً، فاستجاب الله دعوتيه.

أما «أَبو حامد» فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، كلمة شهد بها الموافق والمخالف.

قدومه نيسابور وملازمته لإمام الحرمين:

ثم إن الغزالي قدم نيسابور[2]، ولازم «إمام الحرمين» وَجَدّ

---

(١) بداية الهداية: صفحة ٧.

(٢) نيسابور: أَو نيشابور، عاصمة خراسان، من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى مع بلخ وهراة ومرو، مسقط رأس عمر الخيام وفريد الدين العطّار، خربتها الحروب والزلازل.

واجتهد حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدّى للردّ عليهم وإبطال دعاويهم.

وصنّف في كل فنّ من هذه الفنون كتباً، أحسن تأليفها، وأجاد وصفها وترصيفها.

مواهبه:

وكان رضي الله عنه شديد الذكاء، سديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غوّاصاً على المعاني الدقيقة، جبل علم، مناظراً محجاجاً، ولما ألّف الإمام الغزالي كتابه: المنخول في الأصول، قال له أستاذه:

دفنتني وأنا حي.

إقامته على التدريس:

أقام الإمام الغزالي على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة، عظيم الجاه، زائد الحشمة، عالي الرتبة، مسموع الكلمة، مشهور الاسم، تُضرب به الأمثال، وتُشدُّ إليه الرحال، إلى أن شرفت نفسه عن الدنيا، فرفض ما فيها من التقدّم والجاه، وترك كل ذلك وراء ظهره.

رحلته وسياحته:

وقصد بيت الله الحرام فحجّ، وتوجه إلى الشام في ذي القعدة سنة

ثمان وثمانين وأربعمائة، واستناب أخاه في التدريس، وجاور ببيت المقدس.

ثم عاد إلى دمشق، واعتكف في زاويته بالجامع الأموي الكبير، والمعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه.

زهده وورعه:

ولبس الخشن من الثياب، وقلّل طعامه وشرابه، وأخذ في التصنيف للإحياء[1]، وصار يطوف المعابد، ويزور التُّرب والمساجد، ويأوي إلى القفار، ويروّض نفسه، ويجاهدها جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات، إلى أن صار علم الوجود، والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصل إلى رضا الرَّحمن.

عودته لبغداد:

ثم رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الواعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدَّث بكتاب الإحياء.

ثم عاد إلى خراسان، ودرّس بالمدرسة النظامية بنيسابور[2] مدة يسيرة، وكل قلبه معلّق بما فتح عليه من الطريق.

ثم رجع إلى طوس ثانية، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء،

---

(١) هو كتابه المشهور: إحياء علوم الدِّين، والذي يقع في أربعة مجلدات كبيرة.

(٢) نيسابور: أو نيشابور سبق التعريف عنها.

وخانقاه[1] للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف:

من ختم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصَّلاة والصِّيام، وسائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه.

وفـاتـــه:

وكانت وفاته قدَّس الله سرّه بطوس في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة، سنة خمس وخمسمائة[2]. وله من العمر خمسة وخمسون عاماً. ومرقده بمقبرة الطابران[3].

قال أخوه أَحمد:

لما كان يوم الاثنين وقت الصبح، توضأ أخي «أَبو حامد» وصلّى وقال: علي بالكفن، فأخذه وقبله، ووضَعه على عينيه، وقال: «سمعاً وطاعة للدخول على الملك»! ثم مدَّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار. رحمه الله تعالى[4].

---

(١) الخانق: الشِّعب الضيق في الجبل. وخانق الصوفية: المكان الذي يجلس فيه رجال الصوفية يتلقّون فيه العلم.

(٢) أجمع المؤرّخون على أن وفاة الإمام الغزالي في هذا التاريخ ٥٠٥هـ الموافق ١١١١م.

(٣) الطابران: إحدى مدينتي طوس، والأخرى: نوقان.

(٤) انظر كتاب: «الثبات عند الممات» لأَبي الفرج بن الجوزي، وكتاب: «بداية الهداية».

كـتـبـــه:

١ ـ إحياء علوم الدِّين: أربع مجلدات.

٢ ـ تهافت الفلاسفة.

٣ ـ الاقتصاد في الاعتقاد.

٤ ـ محك النظر.

٥ ـ معارج القدس في أحوال النفس.

٦ ـ الفرق بين الصالح وغير الصالح.

٧ ـ مقاصد الفلاسفة.

٨ ـ المضنون به على غير أهله.

٩ ـ الوقف والابتداء في التفسير.

١٠ ـ البسيط: في الفقه.

١١ ـ المعارف العقلية.

١٢ ـ المنقذ من الضَّلال.

١٣ ـ بداية الهداية.

١٤ ـ جواهر القرآن.

١٥ ـ فضائح الباطنية.

١٦ ـ التبر المسبوك في نصائح الملوك.

١٧ ـ الولدية.

١٨ ـ أيها الولد.

١٩ ـ منهاج العابدين.

obeikandl.com

٢٠ ـ إلجام العوام عن علم الكلام.

٢١ ـ الطير.

٢٢ ـ الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة.

٢٣ ـ شفاء العليل: في أصول الفقه.

٢٤ ـ المستصفىٰ من علم الأصول.

٢٥ ـ الوجيز في فروع الشافعية.

٢٦ ـ ياقوت التأويل في تفسير التنزيل.

٢٧ ـ أسرار الحجّ.

٢٨ ـ الإملاء على إشكالات الإحياء.

٢٩ ـ فيصل التفرقة بين الإِسلام والزندقة.

٣٠ ـ عقيدة أهل السُّنَّة.

٣١ ـ ميزان العمل.

٣٢ ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحُسنى.

٣٣ ـ أسرار المخلوقات.

٣٤ ـ رسالة في قواعد العقائد: في التوحيد.

٣٥ ـ خلاصة التصانيف في التصوّف.

٣٦ ـ سر العالمين.

٣٧ ـ الطب الروحاني للجسم النوراني في علم الحرف.

٣٨ ـ المحبة والشوق في الأنس والرضا.

٣٩ ـ الأربعين في أصول الدين.

obeikandl.com

٤٠ ـ مكاشفة القلوب المقرب إِلى حضرة علاّم الغيوب.

وله كتب عديدة باللغة العربية واللغة الفارسية.

* * *

والكتاب الذي بين يديك، محاولة متواضعة من المحاولات التي انتهجتها مؤخراً، فبعد أن وفّقني الله عزّ وجلّ إِلى جمع أشعار شيخ الإِسلام أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد اللَّه بن أَبي القاسم (ابن تيمية)[1]، وأصدرتهم في كتاب حمل عنوان «ديوان شيخ الإِسلام ابن تيمية».

ها أنا اليوم أُقَدِّم لبنة جديدة نيِّرة للمكتبة العربية الإِسلامية، ألا وهي أشعار الحجّة النادرة وفيلسوف الإِسلام الإِمام محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي، قمت بجمع أشعاره من بطون أمهات الكتب العربية، معتمداً على الكتب التي ألّفها إِمامنا الجليل، والكتب الأخرى التي ألّفها السَّادة العلماء عنه.

ولم أكتف بسرد الأشعار فقط تدوينها، بل عمدت أول الأمر إِلى التأكّد أن هذه الأشعار هي من نظم الإِمام الغزالي، وليست منسوبة أَو منحولة إِليه، أَو مدسوسة عليه.

كذلك وثّقت مصادرها، وشرحت غريب كلماتها وذكرت مناسباتها.

---

(١) قامت دار الجيل في بيروت لصاحبها الأستاذ عبّود عبّود بنشر الكتاب.

وثبَّت في آخر الديوان الفهارس الهامة، كفهرس أوائل الآيات القرآنية الكريمة، وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس القوافي، والفهرس العام.

أسأل الله العلي القدير، مالك الملك، الذي لا إله إلاَّ هو العلي القدير أن يقيل عثراتنا، وينفعنا بما علّمنا، ويلهمنا رشدنا.

والله ولي التوفيق

محمّد عبد الرَّحيم

دمشق في: ٣٠ ربيـع الأول ١٤١٠ هـ

٣٠ تشرين الأول ١٩٨٩ م

obeikandl.com